علوم العربية ومنهجية الجمع بين القراءتين

عادل الشيخ عبد الله*

تقديم

إن مصطلح (الجمْعُ بيْن القراءتيْن) مُقْتبسٌ من العلواني[1] الذي استلهمه من فعلي الأمر في سورة العلق؛ حيث قال الله تعالى آمرا رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم "اقْرأْ باسْم ربّك الّذي خلق، خلق الإنْسان منْ علقٍ، اقْرأْ وربُّك الأكْرمُ الّذي علّم بالْقلم، علّم الإنْسان ما لمْ يعْلمْ" (العلق: 1-3). فالقراءة الأولى قراءة وحيٍ باسم الله تعالى، والثانية قراءةُ الخلْق ودراسة الوجود.[2] وهاتان القراءتان تُمثّلان كتابين يجب قراءتهما: وهما كتاب القرآن المعجز والكون الذي يمثل كتابا مفتوحا.

مقصد القراءة العقدية: هو إقامة الإنتاج العلمي للأمة الإسلامية على هدى الإسلام؛ محتوى، ومنهاجا، بينما تهدف القراءة الكونية إلى احتواء كل معطيات الفكر الإنساني -في كافة ميادين المعرفة- التي لا تتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي. فالقراءة الكونية يقوم بها العقل الذي يُحرّك، ويضْبط حواس الإنسان التي من خلالها يتلقي المدد المعرفي. وهذا العقل الذي (يعْقلُ) الحواس ليس مُطْلقا يهيم أنّى وكيفما شاء، وإنما (معقول) هو الآخر بالوحي الذي "يوجهه[3] في المجالات التي تخرج عن قدرته المحدودة في المعرفة والإحاطة والإدراك. وتتمثل تلك المجالات في كل ما يتصل بعالم الغيب الذي يعتبر هو النظام المعرفي الحاكم على عوالم المعرفة كلها."[4]

---

* دكتوراه في علم اللغة، أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا.

1 العلواني، طه جابر. الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون، الإنسان، العدد الثالث عشر، السنة الثالثة شوال 1415هـ / مارس 1995، ص53.

2 العلواني، طه جابر، المصدر السابق، ص54.

3 أي يوجه العقل.

4 رجب، إبراهيم. ثورة التنظير في العلوم الاجتماعية، المسلم المعاصر، العدد 98، ديسمبر 2000م، ص31.

وهاتان القراءتان لابد من اتحادهما في كُلٍّ واحدٍ؛ يُقرآن معا وذلك "لتوحيد المعرفة الحضارية الكاملة التي تمكن الإنسان من القيام بمهام الاستخلاف."[5] فالأخذ بأيهما منعزلا عن الآخر يؤدي إلى معرفة مُبتسرةٍ؛ أي ناقصة.

وهذا الفهم هو الذي قامت عليه فكرة الأسلمة التي يتبناها المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية، وتنفذ في بعضٍ من الجامعات الإسلامية، وبصورة جلية في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، وقامت على ذات الفكرة دعوات التأصيل في جامعات السودان، والمملكة العربية السعودية، وبعض الجامعات الإسلامية الأخرى.

وفكرة الأسلمة أو التأصيل شاملة لجميع مجالات المعرفة في كافة أنواع العلوم النظرية والتطبيقية. وقد بذل المهتمون بفكر الأسلمة جهدا مقدرا في الجانب النظري والتطبيقي في كافة مجالات المعرفة. وقد حظيت العلوم الإنسانية باهتمام أكبر مقارنة بالعلوم التطبيقية؛ وما ذلك إلا لأنها أكثر عرضة لغزو الأفكار غير الإسلامية، خلاف العلوم التطبيقية التي لا يؤثر فيها فكر ما؛ فهي علوم من الممكن وصفها بأنها علوم محايدة، أي لا تعكس فكرا ما، فالطب مثلا هو هو سواء كان في بلاد إسلامية أو نصرانية أو يهودية، وكذلك الهندسة والصيدلة وغيرها من العلوم المشابهة.

ويبدو لمن يستعرض الإنتاج الفكري للأسلمة أن البحث في مجالات أسلمة علوم العربية قليل مقارنة بالعلوم الإنسانية الأخرى كالاقتصاد، وعلم النفس وعلم الاجتماع. ومعظم هذا القليل استأثرت الدراسات الأدبية بنصيب الأسد منه؛ وما ذلك إلا لأن حقل الأدبيات أكثر قابلية للتأثر بالفكر الآخر من اللغويات التي تُماثلُ –في معظم موضوعاتها– العلوم البحتة كالكيمياء والفيزياء والرياضيات. والشاهد على ذلك أنه يوجد كم هائل من الدراسات والمؤلفات في ميدان الأدب الإسلامي. كما وأنه في معظم اللقاءات وحلقات النقاش التي عقدت في هذا الشأن كان حظ اللغويات ضئيلا، وعلى سبيل المثال ففي (ندوة الإسلامية) في اللغة العربية وآدابها التي عقدت في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، قدمت ثمانية بحوث؛ منها ستة عن

---

5 العلواني، طه جابر، المصدر السابق ص54.

الأدب وثنتان فقط عن اللغويات.[6] وفي ميدان اللغويات لا توجد إلا اجتهادات قليلة. ففي جانب ألف الأستاذ أكرم سعد الدين وآخرون (سلسلة القلم)[7] لتعليم العربية لناطقيها وغيرهم. وفي الجانب النظري قدم طه جابر العلواني آراء واجتهادات قيمة مبثوثة في سلسلة اللقاءات والمحاضرات التي يلقيها في (المعهد العالمي للفكر الإسلامي) وكتاباته في (مجلة المسلم المعاصر) و(مجلة إسلامية المعرفة). وفي هذا المجال النظري ألف أحمد شيخ عبد السلام كتابا عنوانه "مدخل إسلامي للغويات العامة". وله اجتهادات أخرى في هذا الميدان.

وثمة تعليل آخر يبرر ندرة البحث في أسلمة علوم العربية ألا وهو خصوص العلاقة بين العربية والدين الإسلامي. يضاف إلى ذلك غموض فهم دلالة مصطلح الأسلمة لكثيرين. لقد فرض هذا الارتباط بين العربية والإسلام وغموض المصطلح سؤالا تقليديا يُجابه به القائمون على أمر الأسلمة بسؤال اعتراضي تقليدي ألا وهو:

هل علوم العربية في حاجة إلى أسلمة؟

وهذه الدراسة التي بين أيدينا تحاول الإجابة على هذا التساؤل وأن تصوغ تصورا لمفهوم أسلمة اللغويات، وتخُطّ أمثلة تومئ بها إلى مسارات الأسلمة؛ وما ذلك إلا لأن تحديد المسارات الكلية الشاملة للأسلمة لا يمكن حصرها، واستيفاؤها في دراسة واحدة.

وإذا كانت الأسلمة تعني "إعادة صياغة المعرفة الإنسانية وفق الرؤية الكونية التوحيدية من خلال الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون"،[8] فإن ذلك قد تم. وعليه فإنه يبدو من نافلة القول الحديث عن أسلمة العربية؛ فاللغة العربية قد قرئت قراءة وحي، عندما نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى "إقْرأْ باسْم ربّك الّذي خلق"(العلق: 1).

---

6 عقدت ندوة الإسلامية في اللغة العربية وآدابها (رقم 12) في الجامعة الإسلامية بماليزيا في عام 1997.

7 سلسلة لتعليم العربية معتمدة قي قسم لغة القرآن في مركز اللغات بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. قام بتأليف هذه السلسلة فريق من معلمي اللغة العربية بالجامعة الإسلامية وترأس الفريق المرحوم د. محمد أكرم سعد الدين.

8 العلواني، طه جابر. الجمع بين القرائتين، مصدر سابق.

كانت تلك اللحظة نقطة تحول كبيرة في تاريخ العربية؛ وكانت ميلادا لدور رسالي وحضاري كبير تقوم به العربية، بل كانت لحظة ميلاد عربية جديدة ليست كتلك العربية الجاهلية. لقد أسلمت العربية؛ فهذبت من الحوشية، ومن اللفظ الغريب، واكتسبت كثير من الألفاظ الجاهلية دلالات إسلامية.

لقد صوّر ابن فارس أثر القرآن في العرب والعربية قائلا:" لقد كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ... فلما جاء الله بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات... ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر وزيادات زيدت، وشرائع شُرّعت...كان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وإن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان من التصديق..وكذلك الإسلام والمسلم، إنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء كما جاء الإسلام بدلالات لكلمات أخر لم تكن معهودة لها كالفسوق والصلاة والزكاة والإيمان والركوع والسجود والخشية والخشوع وغير ذلك من الألفاظ الدينية."[9]

وتبع ذلك أن اللغة سلوك فردي، عدلت من خطاب جاهلي إلى سلوك إسلامي قويم في النثر، والشعر، وسائر الكلام اليومي. ذلك أن المسلمين كانوا يقتدون بالرسول صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا. فالرسول صلى الله عليه وسلم هو المثال الذي انتهى إليه الكمال اللغوي. يقول الجاحظ: إن الرسول صلى الله عليه وسلم "لم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة وشيّد بالتأييد ويُسّر بالتوفيق."[10] أو لم يقل الله تعالى "وما ينْطقُ عن الهوى إنْ هُو إلّا وحْيٌ يُوْحي" (النجم: 15).

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة توجيهات وإشارات للكيفية التي بها يكون القول طيبا، ولما ينبغي أن يكون عليه سلوك الفرد. وعلى المستوى الاجتماعي فالإسلام قد وحّد العرب لغويا، وصاروا يتحدثون لهجة واحدة، هي لهجة قريش. ولولا الإسلام لتطورت كل لهجة إلى لغة مختلفة كما حدث للاتينية التي انقسمت إلى لغات أوربا الحديثة.

---

9 أنظر: شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي، ج3، ص33.

10 الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر. البيان والتبيين، (تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون) القاهرة: مكتبة الخانجي، 1968م، ج2، ص17.

أما القراءة الكونية فقد كانت عندما هبّ فطاحل الأمة لمقابلة التحديات العلمية من انحراف للقراءات وتصحيفٍ فيها، فخلقوا علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة ومعجمية. إذن فتلك العلوم، كما اتفق فيها، إسلامية النشأة. وفي هذا يقول شوقي ضيف: "إن العلوم الإسلامية كلها قد قامت لخدمته (أي لخدمة الإسلام)، فهو الذي هيأ بقوة لنهضة العرب العلمية."[11] ويقول سزكين: "لقد بدأت الدراسات اللغوية في أبسط صورها بعد تدوين المصحف العثماني وفي إطار دراسة القرآن الكريم."[12] ولم يكن للعرب دوافع قومية عندما بدأوا يخطون علومهم كما زعم بذلك أبو سعيد محمد عبد المجيد في ذيل قوله " إن الأسس التي بنيت عليها نشأة الصرف، هي أسس إسلامية مفادها الحرص على أداء القرآن أداء صحيحا، بجانب دوافع قومية عربية واجتماعية، سياسية وغيرها."[13]

فالإمام علي رضي الله عنه (ت 40هـ) لم يكن مدفوعا بعصبية أو قومية عندما عهد إلى أبي الأسود الدؤلي (ت 69هـ) صناعة النحو. ولم يعرف عنه ذلك إطلاقا. بل وما كان الدافع القومي ليظهر في عصر صدر الإسلام الذي نبذ القومية، وجعل المسلمين أمة واحدة.

إلا أن هذا لا يعني أن القراءتين قد اكتملتا، وأن أبواب الاجتهاد اللغوي قد غُلّقت. وإن كان هذا هو الواقع فإن فيه مناقضة مع سنن الحياة التي من لوازمها التطور والنماء اللذين لن يوجدا بدون تجديد فكري يستلهم روح العصر. وما دامت الأسلمة من أنشط آليات تجديد فكر الأمة في هذا العصر، فهي تضحى مطلبا لازما لتجديد فكرنا اللغوي الراهن الذي ران عليه الجمود في كثير من جوانبه واغترب عن ماضيه في أخص ميزاته، وعجز عن استيعاب كثير من معطيات العصر.

حقا إن علوم العربية في حاجة إلى أسلمة، بيد أنها تختلف عن أسلمة مجالات المعرفة الأخرى كالاقتصاد، وعلم النفس، وعلم الاجتماع؛ وما ذلك إلا لخصوصية العلاقة بين العربية والإسلام. وهذا

---

11 ضيف، شوقي. المصدر السابق، ص32.

12 سزكين، فؤاد. تاريخ التراث العربي، (ت د. محمود فهمي حجازي ود. فهمي أبو الفضل) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.

13 عبد المجيد، أبو سعيد محمد. "الأسس الإسلامية في الدراسة الصرفية "، ندوة المنهجية في اللغة والأدب. 1998م، ص1998/2/7م، الجامعة الإسلامية العالمية، 22.

الاختلاف وهذه الخصوصية –كما سبقت الإشارة إليهما– نتجتا من طبيعة نشأة علوم العربية والعلوم الإنسانية الأخرى؛ إذ إن معظم العلوم النظرية وفدت بمفاهيمها الحديثة إلى العالم الإسلامي من الغرب فهي غربية المولد. أما علوم العربية فهي كما أسلفنا إسلامية المنشأ، إلا أن بعضا من مجالاتها، وخاصة علم اللغة التطبيقي، وعلم اللغة الحديث قد ولدا في الغرب. وكما هو معلوم فإن العربية وعلومها التي نشأت إسلامية قد تعرضت كما تعرضت مجالات المعرفة الإسلامية والعربية الأخرى لتبديل وتحريف وتأثير في مرحلة تاريخية تالية لعصر النبوة والراشدين؛ وذلك نتيجة لظروف سياسية وفكرية.

يضاف إلى ذلك أنها –أي المعرفة الإسلامية والعربية– قد أصابها الجمود فتخلفت منهجيا وهذه الحالة من التردي في العربية وعلومها لتدعو إلى الإصلاح العقدي والمنهجي بإعادة قراءتها بناء على قراءتي الوحي والكون وهذا هو جوهر أسلمة المعرفة وما تحاوله هذه الدراسة أيضا. غير أن مفهوم الأسلمة الذي تتبناه هذه الدراسة يختلف عما عليه في بقية العلوم الاجتماعية الأخرى. إنه يعني: التأصيل والتجديد. فما مفهوماهما؟

تدل كلمة (التأصيل) على الرجوع إلى الأصل ونبذ التقليد والتبعية والاغتراف من المورد الرائق الذي قد نهل منه رواد علوم العربية الأصلاء أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأبي الأسود الدؤلي، ونافع بن الأزرق، وعمرو بن المثني وغيرهم. ويُقصد بهذا التأصيل إنهاء حالة التبعية الفكرية والهيمنة العلمية الغربية؛ وذلك لاستقلال الأمة معرفيا.

وتفعيل التأصيل –كما يرى الباحث– ما هو إلا تنقية العربية وعلومها من كل المؤثرات، والأفكار التي تتعارض مع تعاليم الإسلام مع إحياء المنهجية العلمية الواقعية التي طرقها لغويو التراث. إذن فالتأصيل ذو محورين: **محور عقديٌ وآخر منْهجيٌ**.

فالتأصيل العقدي هو تأصيل للمعرفة اللغوية؛ ويكون ذلك باسترجاع المعرفة اللغوية التراثية مباشرة من مظانها في كتب التراث، بغرض تمثلها واستيعابها في درسنا اللغوي المعاصر؛ لأن المعرفة اللغوية العربية قامت أصلا خادمة لعلوم الدين، ومنه استمدت حياتها. إنها معرفة غير مشوبة بكدر فكري. فالأمثلة مستقاة من مكونات العقل الإسلامي العربي فقط. وهي القرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وحكم العربي وأشعارهم وتجاربهم. وهذا الفكر قد نبت في أرض العرب ولم يتأثر بفكر آخر.

إن كثيرا من المعارف الخاصة بعلم اللغة طرقت من قبل، ونقلت إلى الغرب ثم جاءتنا مرة أخرى عن طريق الغرب مع تبديل، ونقص، وتحريف، منسوبة إلى غير أهلها. ويعني التأصيل المنهجي: تمثل المنهجية التي اتبعها اللغويون السابقون في تقنين اللغة والتأليف؛ وما ذلك إلا لأن هذه المنهجية تتناسب والفكر اللغوي العربي. وما دام إرث الأمة غنيّا في معرفته، حافلا بمنهجيّة فعلام التبعية والذيلية؟ ولم لا نستقلُّ بأنفسنا، ونستقي من بحر التراث مباشرة، ونهجر ما عداه؟ كما قال المتنبي في ممدوحه:

قواصدُ كافُورٍ توارِكُ غيْرِه ومنْ قصد البحْر استقلّ السّواقيا

فأي مصدر معرفي يضارع عباب الأمة الإسلامية الزخّار؟

أما (التجديد) فهو أيضا يقوم على: محور **عقدي**، وآخر **منهجي**. ويُعْنى بالأول تجاوز دلالة التأصيل المشار إليها سابقا والمتمثلة في غربلة الفكر اللغوي من القضايا الفكرية التي تتعارض مع ديننا الحنيف، إلى توجيه اللغة وجهة رسالية مع عصرنة علم اللغة وتحديث اهتماماته ومضامينه؛ وذلك من أجل ارتقاء، ونماء الواقع العلمي المتخلف للأمة. أما التجديد المنهجي فيعنى به إقامة الدرس اللغوي على منهجية علمية حديثة.

لم التجديد؟

ثمة تبريرات عدة تسوقنا نحو تجديد الفكر اللغوي العربي، نعدد منها بإيجاز ما يلي:

أولا: لو نظرنا في هذا الفكر اللغوي العربي نجده موسوما بحالة من الجمود الفكري، وليس ثمة عطاء متجدد فاعل فيه؛ فنحن إذ أنّا نُخْضع –أحيانا– المقولات اللغوية المحْدثة إلى ضوابط وتصورات تراثية، ترجع بنا إلى أوائل البعث اللغوي العربي أي عصر التدوين اللغوي ظانين أنه ليس في الإمكان أفضل مما كان.

ثانيا: إن موروثنا اللغوي يتألف من خليط من المعلومات والنصوص والتأويلات والشروح غير مبوبة ولا مصنفة ولا مصفاة؛[14] وهذا مايدعونا إلى النظر فيها مرة أخرى لقراءتها وفق مستجدات العصر الراهن ومصلحته.

ثالثا: تتضمن النصوص التراثية بعض الملابسات التي تُنقص من كمالها، وتُشكك في صحتها. ومن ذلك قضية الانتحال التي اعتادها كثير من الرواة وبعض الأعراب الذين امتهنوا قضية بيع اللغة؛ أي إخراج ما عندهم من المفردات اللغوية مقابل أجر يدفعه لهم جامعو اللغة. وصارت الرواية مصدر رزق لكثير من الاعراب الذين ينتجع إليهم الرواة أو يرتحلون هم إلى الحضر لسوم ما عندهم من اللغة.

رابعا: لم يدون كثير من أدبيات الحركة العلمية يومذاك. ويطلق على ما لم يدون مصطلح "المسكوت عنه". ويشمل الجوانب العلمية التي لم يشملها اهتمام الذين دونوا المعارف العلمية. وليس ذلك لأنها لم تدخل في دائرة العلم، وإنما أهملت بدوافع فكرية ومن ذلك تعريب لغة الدواوين من اللغات الفارسية والرومية، وذلك لأن الإدارة في أول عهود الدولة الإسلامية كانت بيد خبراء أجانب يتحدثون تلك اللغات.

قد تبدو في ذلك مناقضة، لمنْ لمْ يتأن فيستفهم: كيف يُجمع بين تأصيل المعرفة وتجديدها؟. وكيف يجمع بين المنهجية القديمة والحديثة؟

ويقيني أنه ليس ثمة تناقض وتضاد في ذلك؛ فالتجديد والتأصيل لازمتان من لوازم سنن التطور السليم. فالتأصيل هو بمثابة الأس الذي يُبْن عليه أي جديد، وعدم التجديد سكون؛ فلا يجتمع تطور مع سكون. هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن كل القديم ليس لازما تأصيله؛ إذ منه ما يُبلى ومنه ما يتجاوزه الزمان؛ فما كان صالحا بالأمس ليس من الضروري أن يكون ملائما لليوم ولغدٍ؛ فمن القديم كله ما يؤخذ، ومنه ما يُرد، ومنه ما يجب استحياؤه إن كان ميْتا.

إن التجديد المبتغى ليس كذلك الذي دعا إليه في زمن مضى من تاريخ الأمة مغرضون أمثال سلامة موسى وجورجي زيدان وقاسم أمين ولويس عوض ويعقوب صنوع ولطفي السيد وغيرهم من دعاة التجديد

---

14 الجابري، محمد عابد. تكوين العقل العربي. الرباط: المركز الثقافي العربي، 1983م، ص66.

المغرض الذين رأوا أن التجديد يكون باستعمال الحرف اللاتيني، واستعمال العامية، واستبدال علامات الإعراب بحروف تكتب.[15] إن التجديد المرسوم هنا تجديد مقيد بالوحي ومصلحة الأمة التي يجب أن تكون وفق هدى الوحي. فالوحي من قبلُ ومن بعدُ.

التأصيل المنهجي

والذي يجب ذكره هنا هو: أن علماء الغرب قد استفادوا من الدراسات اللغوية العربية. وألفوا على نهج ما صنع العرب. ولئن كان للعرب فضل الريادة فللغرب فضل التطوير في حقل علم اللغة، ذلك أنهم ارتقوا بمناهج البحث، وطرقوا مواضع جديدة لم ينتبه لها اللغويون العرب مثل: علم اللغة التاريخي، وعلم اللغة الجغرافي، وعلم اللغة المقارن. كما أنهم مزجوا الدراسات اللغوية مع دراسة العلوم الإنسانية، فاستولدوا علم اللغة التطبيقي applied linguistics.

و"يعتبر القدامى من علمائنا –بحق – أساتذة لعلماء الغرب– إبان نهضتهم في هذا الجانب اللغوي، كما كانوا أساتذتهم في الجوانب الحضارية والثقافية الأخرى"،[16] بل إن كثيرا مما يقوله اللغويون في هذا العصر نقلوه من علماء اللغة العرب.

يقول حمّاد "والحقيقة التي لا تقبل جدلا هي أن علوم اللغة المتعددة قد درست من قبل العلماء العرب مع بداية النهضة العلمية. ومنذ ظهور مدرسة البصرة والكوفة في بغداد، ولا يوجد مجال للشك في أن معظم علوم اللغة النحوية، والصرفية، والمعجمية، والاشتقاقية، والدلالية، قد زرعت بذورها عند العرب القدماء، وأن الدارس يستطيع أن يجد ذلك لدى الأصمعي، والخليل بن أحمد، وأبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة، والفراء، والكسائي، وغيرهم من علماء ذلك العصر، وتزامن مع هذه الطبقة من العلماء طبقة أخرى كان لها دور كبير في دراسة هذه العلوم نذكر منهم الجاحظ وابن جني وابن فارس، وعبد القاهر، والسيوطي وغيرهم."[17]

---

15 لمزيد من التفصيل ونفنيد دعاويهم في اللسان العربي والإسلام أنظر: معاً في موكة المواجهة. تأليف السيد رزق الطويل، مكة المكرمة: ادارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي، 1986 م.

16 شاهين، توفيق محمد. علم اللغة العام، القاهرة: مكتبة وهبة، 1990م، ص26.

17 حماد، أحمد عبد الرحمن. علم الدلالة في الكتب العربية: دراسة لغوية في كتب التراث، (د.م)، (د. ن)، 1986، ص7.

ورغم أن اللغويين القدماء ما تركوا شاردة ولا واردة في مجال اللغويات العربية، إلا أن كثيرا من اللغويين العرب المحدثين يستقون من لغويي الغرب في بعض مجالات علم اللغة بكل ضروبه. ومثالا لا حصرا، فهم يرجعون إلى بلومفيلد في مؤلفه (اللغة)،[18] وإلى نيدا في كتابه (المورفولوجيا)،[19] ودي سيسور في كتابه الذي لا يكاد يخلو منه مؤلف لغوي عربي (محاضرات في علم اللغة العام)،[20] وباي ماريو في (أسس علم اللغة)،[21] ويوهان فك في (العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب)،[22] وفندريس في (اللغة)[23] وغيرهم من لغويي الغرب الذين طبعوا عقل اللغويين العرب بخصائص التفكير اللغوي الغربي، وجعلوه أسير فكرهم.[24]

لا شك أن المعرفة تراث بشري مشترك، وملك مشاع بين البشر، غير أن معرفة كل أمة وليدة بيئتها، وما فصل لقوم قد لا يناسب أمة ما. ولذا فإن كان النبع تحت الأرجل فلم النجع؟

لقد اهتدى اللغويون القدماء إلى مناهج علمية تخدم القضايا العلمية التي أثاروها يومئذ. ولم يثبت دليل على كون هذه المناهج مقتبسة من أمة ما، فهي مناهج عربية النشأة. ف"إذا كانت الفلسفة هي معجزة اليونان فإن علوم العربية هي (معجزة) العرب. والحق أن ذلك العمل العظيم الذي تم في عصر التدوين على مستوى جمع اللغة وتقعيدها كان بالفعل أشبه شيء بالمعجزة."[25] حقا، لقد كان ذلك العمل الجبار خرقا للعادة؛ ذلك أن العرب كانت أمة أمية لا تهتم بالقراءة والكتابة؛ وليس لها من الإرث العلمي إلا ما تلوكه الألسن؛ ويتداوله الرواة. فالعلم العربي كان شفاهيا. وبتدوين اللغة وتقييدها دخلت العربية طور الدرس العلمي المنهجي.

---

18 Blomfield, Leonard. Langugage. Chicago. University of Chicago Press.

19 Nida, E.A. Morphology, Ann Arbor: University of Michigan Press. 1949.

20 Desaussure, Ferdinand. Course in General Linguistics, Mc Graw-Hill, 1965.

21 باي، ماريو. أسس علم اللغة (ترجمة أحمد مختار عمر)، طرابلس، 1973.

22 فك، يوهان. العربية: دراسات في اللغة واللهجة والأساليب، (ترجمة عبد الحليم النجار)، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1951 م.

23 فندريس. اللغة، (ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص)، القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، 1950 م.

24 أي العقل العربي.

25 الجابري، محمد عابد. المصدر السابق، ص80.

لقد اهتدى اللغويون العرب إلى منهجية دقيقة وصارمة في مسح اللغة وتدوينها. وتم ذلك في مراحل ثلاث متداخلة. ففي الأولى تم جمع مفردات اللغة وتفسيرها دون ترتيب. ولقد اعتمد جامعو اللغة على مصادر أساسية وهي: القرآن الكريم، والحديث النبوي والأدب القديم بشعره وأخباره وأمثاله بالإضافة إلى السماع من الأعراب في باديتهم أو حين قدومهم إلى الحضر. ومن أشهر الكتب التي تمثل هذه المرحلة كتاب " النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري" (ت 215 هـ).[26]

وفي المرحلة الثانية صنفت المفردات إلى رسائل صغيرة؛ تختص كل رسالة بسرد مفردات موضوع واحد مبنية على معنى من المعاني أو على حرف من الحروف. ويمثل هذه المرحلة كتب "الإبل" و"الشاء" و"أسماء الوحوش وصفاتها"، و"الخيل"، و"خلق الإنسان"، و"النخل والكرم"، و"النبات والشجر" للأصمعي (ت 216 هـ).

أما الثالثة التي جُمعتْ فيها كل مفردات اللغة في كتاب واحد، فيمثلها الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) الذي تفتقت عبقريته عن منهجية فذة –غير مسبوقة بل وغير (ملحوقة) حتى الآن– في كتاب "العين"؛ حيث رتبه ترتيبا صوتيا، وحصر فيه كل مفردات اللغة: ما اسْتُعْمل منها، وما أُهْمل،مستخدما نظرية التباديل والتوافيق الرياضية. ولقد كان عمل الخليل فتحا في المعجمية العربية؛ ولا يزال الناس عيالا على منهجيته، وإن خولف أحيانا.

إن هذا التطور في المراحل الثلاثة يرتبط عضويا بخيط فكري متين. وإذا قُيّم بناء على معايير المنهجية الحديثة فإنه يُظْهر منهجا علميا منظما. فالمادة اللغوية قد جمعت من مظانها (القرآن والسنة والاشعار وحكم العرب والأعراب ومقولاتهم) وهذه المصادر تمثل العقل الجمعي خير تمثيل. ويدل الترتيب (أي جمع ثم تدوين موضوعي فتدوين معجمي) على مدى وعي اللغويين العرب خاصة بفكرة الحقل الدلالي semantic field التي قال بها اللغويون المعاصرون وسبق بها لغويو الأمة في الترتيب الموضوعي. ويكفي برهانا على عظمة العبقرية العربية منهجيا أن الخليل بن أحمد فعل ما يعجز عنه المحدثون في إحصاء واستقصاء اللغة.

---

[26] الطرابلسي، أمجد. نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب، دمشق: مكتبة الفتح. 1982م، ص12.

وبالإضافة إلى المنهجية الخاصة التي ابتدعها اللغويون في جمع اللغة وكتابة المعاجم، فإنهم تأثروا في المراحل التالية من مراحل التأليف في علوم اللغة بفروعها المختلفة في مناهجهم بمنهجية علوم الحديث. يقول السيوطي في مقدمة المزهر: " هذا علم شريف، ابتكرت ترتيبه، واخترعت تنويعه وتبويبه، وذلك في علوم اللغة وأنواعها، وشروط أدائها وسماعها، حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع."[27]

ومن المناهج التي استخدمها اللغويون العرب يومئذٍ: المنهج النقلي، والمنهج العقلي، والمنهج المعياري، والمنهج المقارن، والمنهج التكاملي.[28]

التأصيل العقدي

إن بعضا من مفاهيم علم اللغة التي قال بها بعض قدماء اللغويين العرب والتي وجدت طريقا إلى الفكر اللغوي القديم ما هي إلا نتاج للتأثر بالتيارات الفكرية الوثنية التي انتقلت إلى العربية عن طريق الترجمة أو روّج لها علماء عرب أُعْجبوا بالفكر اليوناني القديم.

وقد وفدت في عصرنا الحاضر –نتيجة للاحتكاك بالغرب– بعض من المفاهيم والمقولات الحديثة التي تتعارض مع مبادئ الدين والفهم الإسلامي. ومن المؤسف أن كبار اللغويين العرب ظلوا يرددون ذات المقولات الغربية العلمانية بوعي، أو بدون وعي. ومثال ذلك نشأة الكلام عند الإنسان وبدايته.

إن هذه القضية –أي قضية نشأة اللغة– تعدّ من القضايا التي ذهب فيها علماء اللغة العرب –قديما وحديثا– مذاهب شتى. ولهم فيها تأويلات متباينة. لقد انقسم اللغويون الرواد أنفسهم، في هذه القضية، إلى فريقين: فريق يرى أنها توقيفية، ويتزعمه ابن فارس (ت 395هـ). ويستدل بقوله تعالى "وعلّم آدم الأسْماء كُلّها ثُمّ عرضهُمْ على الملائكة فقال أنبئُوني بأسْماء هؤُلاء إنْ كُنْتُمْ صادقيْن" (البقرة: 31). فالله سبحانه

---

27 السيوطي، المزهر في علوم العربية وأنواعها، بيروت: المكتبة العصرية، 1986 م.

28 عبد الله، عبد الصمد. "مناهج الدراسات اللغوية " بحث قدم في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا 1997/12/8 م.

وتعالى ألهم آدم عليه السلام أسماء المسميات كلها. قال ابن عباس: علمه اسم كل شيء حتى القصعة والمغرفة.[29]

أما الفريق الآخر الذي يتزعمه ابن جني (ت 392هـ) فيرى أنها من صنع الإنسان، وأنها تطورت من محاكاة لأصوات الطبيعة إلى أن وصلت إلى مرحلة النضج. إن هذا المنحى من التفكير الذي قال به ابن جني ربما كان نتيجة لإطلاعه على الفكر اللاتيني؛ إذ أنه رومي الأصل.

والذي ذهب إليه ابن جني نفسه يقول به علماء اللغة المحدثون؛ إذ ادعى بعضهم أن اللغة "نشأت من تقليد أصوات الحيوان والجماد وارتكاس للرسوم والحركات، إنها بحسب زعمهم بدأت بالرسم الدال على العمل، إما بالحركة، أو بالآلة المستعملة، أو بصورة الهدف الذي يُسعى إليه، ثم انتقل هذا الرسم التعبيري إلى الحروف الرمزية، فنشأ هذا الحرف الدال على المفاهيم بالتدريج."[30]

ويردد لغويون عرب محدثون مقولة فندريس الذي يرى: أن اللغة لم تولد "كحدث اجتماعي إلا يوم أن وصل العقل الإنساني إلى درجة من النمو تسمح له باستعمالها."[31] ولما عجزت معايير العقل الغربي في الوصول إلى نتيجة في هذا الموضوع، طالب بعضهم بعدم البحث في هذه القضية وأوصت بذلك الجمعية اللغوية الفرنسية في عام 1878م، معللين لذلك بأن العلم لا يبحث إلا فيما تؤكده المادة المحسوسة، إذ ليس لإنسان أن يصل في هذا الموضوع إلى نتيجة يطمئن إليها المنهج العلمي. وجلي أن هذا يتعارض مع الفهم الإسلامي الذي يجعل الوحي المصدر الأول للمعرفة.

إن مقولة ابن جني ومن حذا حذوه من المحدثين تتعارض مع الفهم الإسلامي الذي يمثله ابن فارس. فإنا كمسلمين، نهتدي بالوحي، نسلم: أن آدم أبا البشر، وبه بدأ الخلق. وأنه رسول من الله، أوحي إليه ليبلغ رسالة الله. ويستلزم الرسالة الوسيلة اللغوية وإلا فكيف يخاطب من أرسل إليهم؟ ويستحيل أن يكون آدم وذريته قد بدأوا محاكاة أصوات الطبيعة إلى أن نمت ملكة اللغة عندهم.

---

29 الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، بيروت: دار القرآن الكريم، 1981م، ج1، ص62.

30 ظبيان، نشأت محمد رضا. علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، بيروت: دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1997، ص9.

31 فندريس، مصدر سابق.

إن الله سبحانه وتعالى قد ألهم آدم اللغة مكتملة، ولكن أية لغة تلك التي أُلْهِمُها سيدنا آدم؟ يمكن أن يكون الجواب محور خلاف؛ إذ ليس مهما أن تكون العربية أو السريانية أو أية لغة أخرى. فآدم عليه السلام قد ألهم لغة يبشر ويدعو بها ويتلو بها كتاب الله. ونتيجة لتفرق بني آدم في المعمورة، واختلاف الأقاليم التي قطنوها، نشأت عن اللغة الأولى لهجات ثم تطورت اللهجات إلى لغات. وصدق الحق حين قال "ومنْ آياته خلْقُ السّماوات والأرْض واخْتلافُ ألْسنتكُمْ وألْوانكُمْ إنّ فيْ ذلك لآياتٍ للْعالميْن" (الروم: 22).

إن القول بأن اللغة قد نشأت لاحقا، وأن أعضاء الإنسان قد تطورت لتلائم وظيفته الجديدة ما هي إلا دارونية تتعارض مع ما ذهب إليه القرآن. فالله جل وعلا يؤكد في كتابه العزيز أنه قد خلق الإنسان في أحسن تقويم. وعبارة أحسن تقويم لا تعني تقويم البدن فقط، وانما تشمل تقويم كل ما يميز الإنسان عما عداه من الخلائق، ومن ذلك اللغة. يقول الله تعالى في محكم تنزيله:

- "ثُمّ كانْ علقه فخلق فسوّى فجعل منْهُ الزّوْجيْن الذّكر والأُنْثى" (القيامة: 38 و39).
- "سبّحْ اسْم ربّك الأعْلى الّذي خلق فسوّى" (الأعلى: 1).
- ".... أكفرْت بالّذي خلقك منُ تُرابٍ ثُم منُ نُطْفةُ ثّمّ سوّاك رجُلا" (الكهف: 37).
- "ونفْسٍ وما سوّاها فألْهمها فُجُوْرها وتْقواها" (الشمس: 7 و8).
- "الّذي خلقك فسوّاْك فعدلك" (الإنفطار: 7).
- "ثُمّ سوّاهُ ونفح فيْه منْ رُوْحه، وجعل لكُمُ السّمْع والأبْصار والأفْئدة قليْلا ما تشْكُرُوْن" (السجدة: 9).
- "...فإذا سوّيْتُهُ ونفخْتُ فيْه منْ رُوْحيْ فقعُوْا لهُ ساجديْن" (الحجر: 29).
- "إذْ قالْ ربُّك للملائكة إنيّ خالقٌ بشرا منُ طيْنٍ * فإذا سوّيْتُهُ ونفخْتُ فيْه منْ رُوْحيْ فقعُوْا لهُ ساجديْن" (ص: 71 و72).

جاء في اللسان تحت كلمة (سوّى): وسوّيْتُ الشيء فاسْتوى أي اعتدل.[32] والاعتدال هو الاكتمال. وفي حالة خلق الإنسان فإنه يعني اكتمال بشريته. فهذا الاكتمال لم يتم في مراحل كما تشي بذلك مقولة من يعتقد أن النظام اللغوي للإنسان قد تكوّن لاحقا. كلا إن النظام اللغوي كما تؤكد تلك الآيات قد تم في لحظة استواء خلق الإنسان.

ويقول الصابوني في تفسر الآيتين 7 و9 من سورة الانفطار: "أي الذي أوجدك من العدم، فجعلك سويا سالما تسمع وتعقل وتبصر."[33]

إن هذا كله ليؤكد أن الإنسان قد خلق سوي الخلق وفي أحسن تقويم. وما كان ينبغي لعلماء اللغة من المسلمين أن ينجرفوا وراء ترهات علماء اللغة العلمانيين، ويسوقوا تأويلات باطلة تتعارض مع ما جاء به الوحي الذي يعتبر مصدر المعرفة الأول في الإسلام.

يشكل هذا النموذج الذي سقناه مثالا لقراءة تأصيلية من هدى الوحي. وهذه القراءة النموذجية ليست شاملة؛ وإنما هنالك من الأدلة التأصيلية الكثير لمعرفة واحدة من قضايا علم اللغة. فليس العقل هو الفيصل الأوحد في قضايا العلم، وإنما الوحي أصل المعرفة والمرجع الفيصل في ما وراء حدود العقل. وهذه الرؤية لمفهوم التأصيل تنسجم مع الأفكار والنتائج التي توصلت إليها عمادة البحث العلمي والتأصيل الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود عندما قامت بمراجعة تجارب كليات العلوم الاجتماعية في مجال التأصيل. واقترحت العمادة عدة خطوات إجرائية عملية وذلك لتفعيل التأصيل منها:

- تشجيع المتخصصين على دراسة أفكار العلماء الأوائل من المسلمين ونظرياتهم للوقوف على الجذور الأولى للعديد من فروع العلوم الاجتماعية.
- وضع منهج عام لكتابة مدخل إسلامي للعلوم الاجتماعية.
- تحديد مجالات البحث في التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية.

---

32 اللسان، ج14 ص411.

33 الصابوني، مصدر سابق، ج3، ص828.

- صياغة مفاهيم التأصيل في التراث الإسلامي ومناهجه.
- القيام بتنقية مناهج التدريس مما يخالف التوجه الإسلامي.[34]

التجديد المنهجي

إن التجديد المنهجي الذي يعتبر جوهر القضية الفكرية المعاصرة، يرمي إلى ممارسة الاعتقاد السليم ويسعى إلى إصلاح حال المسلمين بغية أن تستعيد الأمة دورها الريادي.[35] كما يعني تعديل المنهج وتقويمه.

وتجديد منهج العربية يعنى إقامته على أسس علمية. ولئن كان العرب قد أسسوا منهجية علمية في البحث اللغوي، إلا أن هذه المنهجية قد ضوت في فترات ضعف الحضارة العربية. وفي هذا العصر فإن منهجية العربية وعلومها في حاجة إلى تلقيح من المنهجية العلمية الغربية المتقدمة في بحث وتعليم اللغات. والإصلاح المنهجي لا يكون بالأخذ من الغرب فقط؛ وإنما يعني أيضا إحياء المناهج القديمة التي استخدمها اللغويون العرب. فالإصلاح المنهجي هو (تأصيل وتحديث في المنهجية).

إن الذي يقارن بين منهج اللغويين الغربيين والعرب، في الدرس والبحث اللغوي، ليدرك أن البون شاسعٌ بينهما في المحتوى والطريقة؛ فبينما نجد أن جامعات الغرب تواكب متطلبات العصر، بل تتقدمه، نجد أن درسنا اللغوي ما هو إلا اجترار لما قال وعمل به الأولون، ناسين أن العصر اختلف، وأن ما صلح للأمس قد لايكون صالحا لليوم. بل وإن منْ العاملين في مجال اللغويات العربية منْ يشكك في فائدة تطبيق مناهج وأفكار الدراسات اللغوية الحديثة على دراسة اللغة الفصحى؛ إذ يرون أن الأول ما ترك للآخر شيئا وكم ترك الأول للآخر!

وهذا التقديس للقديم فرض قيودا على الدرس اللغوي الحديث لا ينفك منها. ومن تلك القيود قضية ترتيب أبواب النحو العربي التي ما تزال كما قال بها الخليل. ولأن أبواب النحو لا تزال كما قال بها الخليل فما تزال توجد بعض أبوابٍ في النحو والصرف مهملةٌ في الاستعمال اليومي، تشغل حيزا كبيرا في الدرس اللغوي

---

34 عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، "تقرير عن جهود الجامعة في مجال التأصيل الإسلامي للعلوم الإجتماعية"، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رجب 1413هـ، ص482.

35 أبو سليمان، عبد الحميد. معارف الوحي: المنهجية والأداء، مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، عَمَّان، 1994.

كالتصغير الذي ما ورد في القرآن إلا لكلمة واحدة، تكررت في ثلاث آيات.[36] بل وبعض الكلمات التي هجرت في الاستعمال اللغوي ما زال مدرسو الصرف يتمسكون بها. وتمتلئ كتب الدرس النحوي بكثرة الشواذ المخالف للقاعدة، والإسراف في العوامل النحوية والتعليلات. ويبدو التمسك بالقديم جليا حتى في الشواهد النحوية؛ فمعلمو النحو لايزالون يكررون قول صاحب الألفية:

ولا يجُوزُ الابْتدا بالنّكرة ما لمْ تفدْ كعنْد زيْدٍ نمرة

حقا لقد صدق فيهم قول من قال:

ما نرانا نقول إلا معارا معادا من قولنا مكرورا

وبعض الموضوعات اللغوية ذات الأهمية العملية القصوى لا تجد عناية مثل التعريب، واستيعاب كلمات جديدة من اللغات الأخرى وكيفية كتابتها. لذا ننادي بفتح باب الاجتهاد اللغوي؛ ولا نعض بالنواجز على قيود الأوائل. بل يجب أن نلقح موروثنا اللغوي بالمفيد من المنهجية الحديثة أنى وجدناها فالحكمة ضالة المؤمن.

إن الذي ينظر اليوم في واقع منهجية الدرس والبحث اللغويين، ليخلص إلى: أن اللغة اليوم تدرس دراسة علمية. ويُقْصد بالدراسة العلمية: دراسة اللغة باتباع المنهج العلمي الذي يستعمل في دراسة العلوم الأخرى مثل: الكيمياء، والفيزياء، والحساب. وهذه الطريقة لا تقوم على العواطف ولا الأحكام المسبقة أو الإجحاف. فإذا قال شخص: بأن لغة ما لغة متخلفة، وأن لغته لغة متحضرة أو أن تلك اللغة لغة سهلة، وهذه لغة صعبة، فهذا الحكم غير علمي؛ لأنه قد بُني على عاطفة، ولم يُبْن على أسس علمية سليمة.

---

[36] قال تعالى على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام يخاطب ابنه يوسف عليه السلام " قال يابُنَي لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين " (يوسف: 5).

– وقال تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام يرجو ابنه "وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بَني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين" (هود: 42).

– وقال تعالى على لسان سيدنا لقمان واعظاً ابنه "يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير" (لقمان: 16).

يقوم المنهج العلمي الحديث على أسس علمية منها: الملاحظة، والتجريب، والتحليل وبناء الفرضيات، واختبار تلك الفرضيات فهذه الوسائل هي التي تقود إلى فهم سليم وصادق، عكس العواطف التي تؤدي إلى حكم جائر وغير علمي. فالإنسان إذا كره شيئا –وهذه عاطفة– فإن رأيه يكون سلبيا تجاه ذلك الشئ. وكذلك إذا أحب شيئا فإنه يصدر حكما إيجابيا نحوه.

فالمناهج العلمية الحديثة المستخدمة الآن في دراسة اللغة التي لا تنال حظها الكافي من الاهتمام والتطبيق عديدها منها: المنهج التاريخي المقارن، والمنهج الاستنباطي، والمنهج السلوكي، والمنهج البنيوي، والمنهج التجريبي.

يؤرخ لنشأة هذه المناهج الحديثة بالقرن الثامن عشر الميلادي. وهي مناهج تفسر اللغة من زوايا مختلفة ورغم تعددها، واختلاف مسمياتها قد تلتقي مع بعض أحيانا. وقد نشأ اللاحق منها نتيجة لنقص رآه اللاحق في السابق أو نتيجة لاختلاف الرؤية للغة. ولذا فهي تلتقي مع بعضها أحيانا.

إن الذي يطلع على مقررات أقسام اللغة العربية بالجامعات العربية والإسلامية، ليدرك أنها لا تزال تعول على المناهج القديمة فقط. ولا يزال المنهج التجريبي شيئا غريبا يطبق في حدود ضيقة. ومثال ذلك علم الأصوات التجريبي الذي يدرس نظريا وما ذلك إلا لافتقار معاهد التعليم للأجهزة والمختبرات اللغوية، أو لعدم إدراك الذين يقومون بتعليم هذه المادة لأهمية هذا الفرع من اللغويات. أما مادة الإحصاء التي تستخدم في تحليل البيانات واختبار الفرضيات فإنها لا تدرس في أي قسم من أقسام اللغة العربية، وكان يجب أن توضع ضمن مفردات مادة طرق التدريس التي تدرس بطريقة نقلية ليس فيها تجديد أو إبداع.

ومن يطلع على رسائل الدراسات العليا يجد أنها تتسم بالتكرار، وضعف المنهجية عموما وانعدام المنهجية الحديثة. ورسائل تحليل الأخطاء خير شاهد على ذلك. إذ تتبع المنهج الكمي الذي ترصد فيه أعداد الأخطاء تنازليا، ولا تعطي تفسيرا ذا قيمة لمدلول هذه الأرقام. وهذا عكس المنهج الكيفي، الذي يندر في الدراسات العليا. فالمنهج الإحصائي الكيفي يحلل، ويعلل تواتر الأرقام في أية حالة مدروسة ثم يعطي نتائج صادقة لقراءة المتغيرات. وهذا ما لا يقوم به المنهج الأول.

التجديد المعرفي

ثمة سؤال يُطرح هنا وهو هل قدمت المعرفة اللغوية عند العرب شيئا؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال نمهد له بقولنا: إن مصطلح علم اللغة مصطلح حديث؛ دخل اللغة العربية عن طريق الترجمة من الغرب، فالأقدمون منهم لم يعرفوا هذا المصطلح. وكان علم اللغة يعرف عندهم **بفقه اللغة**. وهو الفرع الذي يهتم باللغة العربية ما عدا الجانب الأدبي الذي ترك للأدباء والنقاد.

وتتشعب الدراسات اللغوية الحديثة إلى فرعين رئيسيين وهما: علم اللغة العام general linguistics، وعلم اللغة التطبيقي applied linguistics؛ ولكل من هذين الفرعين فروع أخر تعنى بمجالات أخص من مجالات اللغة.

يتشعب علم اللغة العام إلى فروع عدة منها: علم النحو، وعلم الأصوات، وعلم المعاني وغيرها. فعلم النحو يبحث في تركيب الجملة وأنواعها. ويعرف بين اللغويين المحدثين، أحيانا، بالتراكيب structure) (syntax وهنالك من اللغويين العرب الذين سبحوا إلى مدى أبعد مع التيار الغربي من يطلق عليه علم (السنتاكس). ورغم أن اللغويين العرب قد استوفوا بناء النحو العربي، إلا أن هنالك كثيرا من المحدثين الذين حاولوا إقحام قضايا لغوية حديثة ظانين أنهم بذلك يحسنون صنعا؛ ويكملون ما توهموه نقصا في نحونا العربي. إلا أنهم جاءوا بقضايا لا تمت إلى المنطق اللغوي العربي بصلة. ومن ذلك قضية النحو التوليدي generative grammar التي يشكك فيها كثير من علماء اللغة.

إن علم المعانيsemantics هو الحقل الذي تدرس فيه العلاقة بين الكلمة المكتوبة أو المنطوقة وما تدل عليه الكلمة أي معنى الكلمة word meaning. وتدرس كذلك التطور التاريخي للكلمة، أي ماذا كان معناها قديما؟ وماذا صار معناها الآن؟ والأسباب التي أدت إلى تغيير الدلالة. وهذا المجال قد عرفه العرب قبل غيرهم. وتحفل المكتبة العربية بالكثير من مؤلفات علم المعاني والبلاغة، ورغم ذلك فإن بعضا من اللغويين العرب يلجأون إلى المؤلفات الغربية في هذا الشأن.

أما مجال علم اللغة التاريخيhistorical linguistics فهو البحث في تطور اللغات وتكون اللهجات والأسر اللغوية والعلاقة بين اللغات. وهذا المجال قد سبق إليه العرب حيث تحدثوا عن التطور الدلالي ونشأة اللغات.

قصارى القول: إن العربية غنية في ميدان علم اللغة العام (الأصوات والصرف والمعاني). وهذه الأفرع من المعرفة اللغوية هي التي بدأ بها العرب علومهم. غير أن منْ ينظر تارة أخرى في المعرفتين: العربية والغربية في مجال اللغويات ليدرك أن ثمة جديدا في حقل اللغويات يعوز علم اللغة العربية، وأن ثمة عتيقا عربيا أصيلا عفا عليه الزمن، تلوكه الألسنة، فهو متخلف عن ركب الزمان يجب أن يتُخلى عنه. وليس من ضير لعلم اللغة أن يتواصل مع الغير، ودون أن يتعارض هذا التواصل مع مبادئ الدين الحنيف.

ويعتبر علم اللغة التطبيقي من أكثر المجالات اللغوية التي يحتاج العرب إلى تطويرها ومن ثم الارتقاء بدرسها مستفيدين من خبرة الأمم التي سبقتهم في هذا المضمار. وأوضح الأمثلة على ذلك علم اللغة الآلي Computational Linguistics الذي ازدهر في جامعات الغرب والمثال لذلك جامعة جورج تاون.[37] ويجمع هذا العلم بين الدراسات اللغوية النظرية (كعلم الأصوات والتراكيب وعلم المعاني) وعلوم الحاسوب مثل (الذكاء الاصطناعي، وتصميم النظم). وقد أنشئ هذا التخصص نتيجة لبحوث رائدة في الترجمة الآلية من اللغة الروسية إلى الإنجليزية.

وتمنح هذه الجامعة شهادة في تقنية المعلومات بعد أن يجتاز الدارس المقررات الدراسية المخصصة بنجاح مع إكمال التدريب الأساسي في علم اللغة الآلي. والمقررات هي:

- علم اللغة العام general linguistics.
- مقدمة في علم اللغة الآلي Introduction to Computational Linguistic.
- لغات البرمجة Programming languagse.
- الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence.

37 http://www.georgetown.edu/departments/linguistics/program/computational.htm.

• تطبيقات عملية في: الترجمة الآلية واسترجاع المعلومات وتلخيص النصوص وتحليل عملية الكلام.

وهذه الشهادة التي تقوم على أساس نظري وتطبيقي تُعدُّ الدارسين للبحث ومواصلة الدراسة في هندسة النظم والمعلومات.[38]

ويُعدُّ هذا المجال جسما غريبا ومجهولا في هيكل اللغويات العربية بالجامعات الإسلامية العربية. فإذا نظرنا في مقرر اللغويات في أقدم جامعة وهي الأزهر لا نجد في مقرراتها مادة واحدة في الحاسوب.[39] بل، وفي أحدث جامعة إسلامية في أكثر البلدان الإسلامية تطورا في تقنية نظم المعلومات –أي ماليزيا– تحظى هذه المادة باهتمام ضئيل، لا يتعدى أن يكون مقدمة تعريفية فقط. وتخلو حتى المعاهد المتخصصة في اللغة العربية من هذا الفرع المهم من علم اللغة. ومثال ذلك معهد الخرطوم الدولي للغة العربية. فهذا المعهد الذي يتبع لأرفع مؤسسة عربية تربوية، وهي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إحدى منظمات جامعة الدول العربية، تخلو مناهجه من الدراسات الحاسوبية. ورغم أن الحاسوب صار مهما في تدريس اللغات. ويستخدم في التعليم المباشر والتعليم منْ بُعْد فإن الجامعات العربية لا يوجد فيها أي برامج لغوية تقدم بمساعدة الحاسوب. بل ولا توجد دراسة عليا في الجامعات في استخدام الحاسوب في تدريس اللغة العربيةComputer Assisted Arabic Programme.

لقد أدى عدم الاهتمام بدور علم اللغة الآلي وتقنية لمعلومات إلى ضآلة نظم وشبكات المعلومات العربية، وأدى كذلك إلى صعوبة البحث في شبكة المعلومات الدولية؛ ولذا فإن معظم المعارف الإسلامية والعربية تخزن بلغات أجنبية.

نعم، إن معظم المعلومات في شبكة المعلومات الدولية تعتمد على استعمال الحرف اللاتيني في البحث والتخزين. فاللغات ذات الحرف اللاتيني لا تجابه بإشكاليات كما تجابه اللغة العربية وتلك التي لا تستخدم

---

38 المرجع السابق.

39 أنظر موقع الأزهر في شبكة المعلومات الدولية:

http://www.frcu.eun.eg/www/universities/html/azhar.html

الحرف اللاتيني كالصينية، والكورية، والعبرية. ولكن بعضا من هذه اللغات كاليابانية، والصينية، والكورية بل والعبرية قد قطع شوطا كبيرا في التغلب على هذه الإشكاليات.

إن عدم اهتمام أقسام علم اللغة بعلم اللغة الآلي، ترك مجال نظم المعلومات للفنيين الذين يتأهلون من كليات: الهندسة ونظم المعلومات والأقسام الأخرى ذات الصلة بعلوم الحاسوب. وبما أنهم غير مؤهلين تأهلا لُغويا عاليا فإنهم يقعون في أخطاء جسيمة عند تخزين المعلومات باللغة العربية. ويخطئون كذلك في إيجاد المقابل العربي المناسب للمصطلح الأجنبي.

هل من علم لغة إسلامي؟

لقد طرح هذا السؤال الذي يجسد أملا محاولة لتجديد الفكر اللغوي العربي الإسلامي، ولإقامة بديل ذي لون إسلامي. وحقيق بنا أن نذكر في هذا المقام أن هذه المحاولة –أي التجديد– ليست طارئة في التفكير العربي فهي دعوة قديمة، وإن انطلقت من منطلقات مختلفة منها القومي ومنها الديني.

وهذه الدعوات –وإن اختلفت في غاياتها– فهي تتفق في مظهرها وآلياتها فالإصلاح في كل الدعوات شامل لكل أفرع اللغة من نحو، وصرف، وبلاغة. كما أنه نحو إصلاح منهج البحث والمحتوى بل وطريقة التقديم.

ففي مجال النحو[40] ظهرت دعوات قديمة تشكو من صعوبة النحو. يقول خلف الأحمر: "لما رأيت النحويين وأصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التطويل وكثرة العلل وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلم المتبلغ في النحو من المختصر، والطرق العربية، والمأخذ الذي يخف على المبتدئ حفظه ويعمل فيه عقله، ويحيط به فهمه. فأمعنت النظر والفكر في كتاب أؤلفه، وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ليستغني به المتعلم عن التطويل، فعملت هذه الأوراق."[41]

---

40 لقد خصصنا الحديث هنا عن إصلاح النحو فقط وما ذلك إلا لأن الشكوى من صعوبة النحو ومنذ القرن الثاني الهجري قد أسفرت عن اجتهادات لتيسيره بخلاف المجالات الأخرى.

41 الأحمر، خلف، مقدمة في النحو، (ترجمة عز الدين التنوخي) دمشق: مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، 1961، ص33.

ومن الذين نادوا بإصلاح النحو يومئذٍ أبو على الفارسي (ت 377هـ) والذي علق على خلافه مع أبى الحسن الرماني (ت 374هـ) بقوله "إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شئ. وإن كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شئ."[42] وتلا ذلك ثورة ابن مضاء القرطبي (1195-1119م) على المذهب النحوي التقليدي التي نادى فيها بإلغاء نظرية العامل، والقياس المنطقي، وإلغاء التمارين والتطبيقات الافتراضية.

وتلت تلك المحاولات في العصر الحديث اجتهادات عصرية محافظة بدأها إبراهيم مصطفي في كتابه "إحياء النحو"، وتلتها محاولات أخرى قام بها محدثون رأوا أن إشكالية النحو العربي وكل علوم العربية الأخرى من الممكن تذليلها. وذلك بتطبيق معطيات علم اللغة الحديث. وكان جورجي زيدان رائد هذه المدرسة. وقد حاول أن يعرض شيئا مما تداوله اللغويون في الغرب عن اللغة وطرق تحليلها في كتابيه "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية" و"اللغة كائن حي." وقد قام فعلا بمحاولات أخرى لتذليل النحو العربي على نمط النظرية التوليدية التحويلية.[43]

وفي هذا العصر الذي انتظمت فيه الصحوة الإسلامية وتمددت، دعا بعض العاملين في حقل اللغويات ذوو النزعة الإسلامية بضرورة البحث عن بديل للعلوم اللغوية يقوم على معايير وقيم الإسلام؛ ليخدم قضايا الأمة، فظهرت دعوات إلى علم لغة شرعي[44] شبيهة بالدعوات التي تدعو إلى أدب إسلامي.

والمعروف بداهة أن العلم تراث بشري، وليس إنجازا خاصا بأمة معينة ومن يقول إن المعرفة بما وصلت إليه، قد صُنعتْ فقط في الغرب، ضلّ الحق، وظلم كثيرا من الأمم. فالتاريخ يثبت أن كل أمة من الأمم قد وضعت لبنة في بنية المعرفة. وأن المسلمين قد قاموا بوضع أعظم اللبنات في تاريخ العلم، غير أن الغرب الذي

---

42 السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، القاهرة: مطبعة عيسى بابي الحلبي، ط1، 2|181.

43 خليل، حلمي. العربية وعلم اللغة البنيوي: دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1988م.

44 عبد السلام، أحمد شيخ. " نحو علم لغة شرعي: دراسة في المنهجية اللغوية للعلوم الشرعية"، ندوة المنهجية في اللغة والأدب، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، 1998/2/7.

انتهت إليه السيادة العلمية الآن، قد فرض عقيدته، وفلسفته، وقيمه السائدة، على العلوم الإنسانية، فصارت" غريبة الفكرة والنظرة، بل التطبيق أيضا فالأمثلة منتزعة من الغرب."[45]

ودخلت تلك العلوم إلى عالمنا الإسلامي، بما فيها من تناقض مع ديننا الحنيف. وقبلها المسلمون كما هي دون تبديل وتعديل. ودفعت هذه الحالة من التبعية الغيورين من علماء المسلمين إلى البحث عن بدائل إسلامية للعلوم الإنسانية والتي أثر فيها التفكير الغربي العلماني فظهرت مصطلحات: كعلم الاجتماع الإسلامي، وعلم الاقتصاد الإسلامي، وعلم النفس الإسلامي، والإعلام الإسلامي، وغيرها من النظم والمعارف.

إن القول بقيام علم لغة إسلامي صرف، يقيم بين المسلمين والآخرين سياجا، مما يؤدي إلى عزلة، تحرم المسلمين من الاستفادة من معطيات الآخرين المفيدة؛ فالحكمة ضالة المؤمن، يأخذها أنى وجدها، فليس كل ما أتى به الغرب شرا. وكما يرى القرضاوي فيجب "أن تكون لنا (مدارس إسلامية) في هذه العلوم: المدرسة السلوكية في علم النفس، والمدرسة الإسلامية في علم الاجتماع، وهكذا....."[46] وحملا على هذا، يفضل أن تكون لنا مدارس أو مداخل إسلامية إلى علوم اللغة وآدابها.

إن المدخل الإسلامي أو الإطار الإسلامي في علوم اللغة يجب أن يكون ذا هدف رسالي، يتخذ مصادر المعرفة الإسلامية مرجعية له، ويفسر الظواهر اللغوية بناء على القرآن والسنة مستفيدا من معطيات العلوم الإنسانية التي لا تتعارض مع العقيدة.

إن علم اللغة ذا التوجه الإسلامي يجب ألا يسير خلف علم اللغة علماني النزعة. أو يكون نسخة معربة له، ويردد مقولاته بلا وعي. إذ يجب أن تكون له شخصيته واهتماماته.

---

45 القرضاوي، يوسف. من تقديمه لكتاب (التفكر من المشاهدة الى الشهود: دراسة نفسية اسلامية)، تأليف د. مالك بدري، القاهرة: دار الوفاء، 1991، ص12.

46 المصدر السابق، ص12.

أهم قضايا علم اللغة ذي التوجه الإسلامي

وبعد فإن الدارس ذي النزعة الإسلامية ينبغي أن يهتم بأهم القضايا التي تمس حاضر ومستقبل الأمة وتخدم الدين. وهذه القضايا كثيرة. غير أن هذه الدراسة تشير إلى أبرزها وأهمها وهي، مثالا لا حصرا:

العربية وعلوم الدين

ورد في توصيات مؤتمر علوم الشريعة الذي عقد في عمّان عام 1994 أن "العلاقة بين القرآن الكريم واللغة العربية، وما يتصل بهذه العلاقة من قضايا ذات أهمية بالغة في فهم القرآن الكريم وتطوير اللغة العربية وفقهها وتوضيح العلاقة بين إطلاقية القرآن ونسبية اللغة العربية."[47]

فالعربية ترتبط بعلوم الدين ارتباط توحد، بحيث لا فكاك منها. ويقول ابن خلدون عن العلاقة بين العلوم اللغوية وعلوم الدين " وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة، لأن المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه، وعلى أبناء جنسه، وهي مأخوذة من الكتاب والسنة فلا بد من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أولا، وهذا هو علم التفسير. ثم بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله سبحانه، واختلاف روايات القراء في قراءته، وهذا هو علم القراءات. ثم بإسناد السنة إلى صاحبها، والكلام في الرواة الناقلين لها، ومعرفة أحوالهم، وعدالتهم، ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك، وهذه هي علوم الحديث. ثم لا بد من استنباط هذه الحكام من أصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط، وهذا هو أصول الفقه. وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، وهذا هو الفقه.."[48]

ومن هذا يظهر أن للغة وعلومها واقعا مركزيا في تأسيس برنامج تكاملي "لاستنباط الأحكام الشرعية المعالجة لقضايا الواقع الإنسان، واستكشاف الحقائق العلمية من النصوص القرآنية والحديثية، وتحليل النصوص

---

47 بحوث مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات الإسلامية. تحرير د. فتحي حسن ملكاوي ود. محمد عبد الكريم أبو سل، عمان: جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية والمعهد العلمي للفكر الإسلامي، 1995م، ص15.

48 المصدر السابق، ص435 و436.

التراثية المبينة لها، وربط الخصائص النظمية والأسلوبية للخطاب الإسلامي بوجه عام بمناهجه في بيان السنن الكونية، وتقديم الحقائق العلمية ومخاطبة العقول، ونقل الأفكار، ومعالجة الأوضاع الإنسانية المتجددة."[49]

وإيمانا بهذا الارتباط أوجب الراغب الأصفهاني على مفسر كتاب الله أن يتقن عشرة علوم، منها علم اللغة، وعلم الاشتقاق، وعلم النحو، وعلم القراءات،[50] وأضاف السيوطي رحمه تعالى علوما لغوية أخرى منها: علم التصريف، وعلم البيان، وعلم المعاني. فالمفسر الذي لا يتقن هذه العلوم يفسر بالرأي.[51]

إذن فالنظر في كتاب الله والحديث الشريف "لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية، لأنه متوقف عليها، وهي أصناف، فمنها علم اللغة وعلم النحو"[52] وحري به أيضا أن يدرس علوما عصرية أخرى لم يعاصرها السيوطي، ولا الأصفهاني، منها علوم لغوية، وأخرى غير لغوية. ومن الأولى: علم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم الأسلوب، وتحليل الخطاب.

إن هذه النزعة التكاملية بين علوم الدين وعلوم اللغة ستقود إلى فهم عميق بمقاصد الخطاب الديني. وهذا الفهم العميق سيرْفد الأمة بعلماء جديرين بأن يقودوا حركة البعث الحضاري، وإحياء حركة الاجتهاد التي تعطلت منذ أزمان سحيقة.

ومن هنا ينبغي إقامة الدرس اللغوي العربي بما يخدم هذه العلاقة. وخروجا من الإطار النظري إلى فضاء الواقع والتطبيق نجد أن علوم اللغة بصورتها الراهنة فيها كثير من الحشو والإطالة والتكلف وفيها ما لا فائدة منه مثل: الغريب والاستثناء والمهجور. مما يجعل تعلم العربية عسيرا. ولأن القرآن كلام الله، وما يُبْتغى من درس العربية وتعلمها هو فهم كلام الله فيجب أن نقيم العربية على ما جاء في كلام الله ورسوله.

---

49 عبد السلام، أحمد شيخ. "مناهج الدراسات اللغوية الحديثة وتوظيفها في التعامل مع نصوص الوحي" ورقة قدمت إلى الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 1977.

50 مقدمة جامع التفاسير، ص94-97.

51 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، القاهرة، مصطفى البابي الحالبي، 1987م، ج1، ص181.

52 ابن خلدون، عبد الرحمن محمد. المقدمة، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1961م، ص436.

الترجمة

إن الترجمة المنشودة ذات شقين، فهي نقل من العربية وإليها. فاللغة العربية ذات تراث علمي ضخم يتمثل في القرآن والتراث. وهي بهذه تشكل ثروة معرفية هائلة أسهمت وتسهم في الارتقاء بالعقل الإنساني عامة. وكثير من ذلك لا يتم إلا بواسطة الترجمة.

وإذا كان من الممكن ترجمة التراث إلى اللغات الأخرى فإنه من المستحيل ترجمة القرآن إلى أي لغة أخرى كما قال بذلك ابن تيميه. ولذا فإنه يجب ترجمة معانيه.

ولهذه الترجمة من العربية غاية تربوية، وأخرى دعوية. فالجمهور من المسلمين ليست العربية لسانهم. وكثير من علماء المسلمين نوه إلى أن علوم الشريعة الإسلامية لا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم.[53] منهم: الإمام الشاطبي وابن قتيبة وابن تيميه.

والترجمة من اللغات الأخرى يجب أن توجه لترجمة منجزات العقل البشري في مجال التقنية والعلوم وأن يكون لهذه القدْحُ المعلى. ثم بعد ذلك يُهتم بالمفيد من هذه اللغات في الآداب والعلوم الإنسانية ويُترك الغث الزبد الذي يذهب جفاء.

ولذا ولفهم تعاليم الدين الإسلامي فهما صحيحا، ولنقل ثروات الأمم الأخرى في مجال العلوم وغيره، ينبغي أن تهتم المؤسسات التربوية بالارتقاء بدرس الترجمة وإنجاب تراجمة يجيدون العربية واللغات الأخرى المترجم إليها.

التعريب

إن تلقي المعرفة بلسان أجنبي ذو مثالب عديدة منها أن الاستيعاب لا يكون في مستوى حالة التلقي باللغة الأم. وقديما فطن إلى ذلك علماء الأمة. يقول ابن خلدون "والأعجمي المتعلم للعلم في الملة الإسلامية

---

53 العلواني، طه جابر. محاضرة بعنوان "عربية القرآن: لا دخيل في القرآن الكريم". (تلخيص وعرض عبد الله أحمد بن حمدي). المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 21 مايو 2001م، أنظر ذلك في:

http://iiit.org/Ar/conferences/QuranicArabic.htm

يأخذ العلم بغير لسانه الذي سبق إليه ومن غير خطه الذي يعرف ملكته. فلهذا يكون ذلك حجابا كما قلناه."[54] ويستمر قائلا: "حتى إن طالب العلم من أهل هذه الألسن (البربري والفارسي والرومي والإفرنج) إذا طلبه من أهل اللسان العربي ومن كتبهم جاء مقصرا في معارفه عن الغاية والتحصيل وما ذلك إلا من قبل اللسان."[55] فالإنسان الذي يفكر بلغته أكثر قدرة على الإبداع وصنع الحضارة وما يكن العربي مبدعا فإنه سيبقى مستهلكا للحضارة، عاجزا عن صناعتها.

إن علم اللغة يجب أن يقود حركة التعريب. وذلك لاستعادة الهوية العربية وللقضاء على التخلف. ولن تفلح حركة تعريب لم تبن على أسس لغوية وعلمية. فحركة التعريب "جمدت عند توقف الاجتهاد اللغوي وانحسار العربية، وانغلاقها في قوالب محنطة."[56]

الخلاصة

من هذا العرض يتضح بجلاء خصوصية قراءة الوحي للغة العربية كما يتضح كذلك مدى أهمية القراءة الكونية لعلوم اللغة العربية. فقراءة العربية قراءة وحي هي قراءة للتأصيل في المنهجية وذلك لإحياء المنهجية التراثية التي من الممكن استخدامها في هذا العصر وتقديمها للعالم مرة أخرى في ثوب عصري. كما أنها إعادة لقراءة الواقع اللغوي وذلك لتنقيته من المؤثرات الفكرية المتعارضة مع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف. وما ذلك إلا لأن اللغة في الواقع الإسلامي لا تدرس لذاتها، ولا لغاية دنيوية فقط وإنما تدرس كوسيلة لفهم العقيدة وفهم مقاصد الشرع ومن ثم تقديم الفهم الإسلامي الصائب حتى لا يكون العجز اللغوي عائقا في فهم الإسلام.

أما القراءة الكونية فقد أظهرت مدى البون الشاسع بين الدرس اللغوي المعاصر الذي استفاد من معطيات التقنية وبين الدرس اللغوي العربي الذي ما زال محنطا في منهجية بالية. وما زالت قضاياه لا تمت

---

54 ابن خلدون، مصدر سابق، ص1054.

55 مصدر السابق، ص1097.

56 الصيادي، محمد المنجي. "التعريب في الوطن العربي"، مؤتمر التعريب، بيروت: مركز دراسات الوحدة، 1986، ص1097.

لهذا العصر بصلة. ومن هنا وجب استشراف منهجية عصرية وقضايا عصرية جديدة تستفيد من معطيات علم اللغة بصورتها المعاصرة وتستلهم من خلال قراءة الوحي مقاصد الإسلام وقيمه العليا في التوحيد والتزكية والعمران. والله الموفق وهو المستعان.